للرحيل ، بيد أن العلماء لما علموا بأمر هذا الفرمان طلبوا إلى محمد على البقاء بمصر لما عهدوه فيه من العدل والاستقامة ، وردع الجنود عن الاعتداء على الأهالى ، واضطربت القاهرة لنبأ هذا الرحيل ، وأقفلت الأسواق وكاد حبل الأمن يضطرب ، فقبل محمد على باشا العدول عن السفر ، وأعلن بقاءه إرضاء للرأى العام ، فلما تحقق خورشيد باشا من عدول محمدعلى عن السفر أدرك أن مكيدته قد أخفقت واضطر إلى الاعتراف بالأمر الواقع والاستعانة بمحمد على فى محاربة المماليك بالصعيد ، ورأى فى تكليفه بهذه المهمة ذريعة لإبعاده مع جنوده عن القاهرة .

فرض خورشيد باشا فى مايو سنة ١٨٠٤ أتاوة جديدة على أرباب الحرف والصنائع ، فضجوا منها لما كانوا فيه من الضيق وسوء الحال ، وأقفلوا حوانيتهم ، وحضروا إلى الجامع الأزهر يشكون أمرهم إلى العلماء ، وكان إقفال الحوانيت من نذر الثورة على الحاكم ، وظلت الخواطر فى هياج ، وفى يوم الاثنين الموافق ١٨ صفر سنة ١٢١٩ هـ ، ٢٩ مايو سنة ١٨٠٤ م اشتد الهياج وأقفلت جميع المتاجر ، واحتشدت جماهير الصناع وأرباب الحرف ، والجماهير ، بالأزهر ومعهم الطبول . فأرسل خورشيد باشا إلى السيد عمر مكرم نقيب الأشراف رسولا ينبئه فيه بأنه رفع الأتاوة عن الفقراء منهم ويطلب منه فض الجماهير ، فقال السيد عمر مكرم : « إن هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء ، وما كفاهم فيه من الكساد وسوء الحال حتى تطلبون منهم مغارم لرواتب العسكر » . ومعنى هذا أن السيد عمر مكرم طلب رفع الأتاوة عن الجميع ، واضطر الوالى بعد ذلك إلى رفع الأتاوة فى ذلك اليوم .